السنوسيون

كتبنا في هذا العدد نبذة عن طرابلس وبرقة وقد رأينا ان نكتب شيئًا عن السنوسيين لما سيكون لهم من الشأن في الحرب القائمة الآن بين الدولة العلية وايطاليا

ينسب السنوسيون الى زعيمهم الاوَّل السيد محمد بن علي بن السنوسي الخطَّابي الحسني الادريسي المهاجري وهو من قبيلة ولد سيدي عبدالله ويتصل نسبهُ بالحسن ابن الامام عليّ بن ابي طالب. ولد سنة ١٢٠٥ للهجرة وقيل سنة ١٢١٧ في مستغانم من اعمال الجزائر ونشأ بها وطلب العلم بمدينة فاس ولمَّا بلغ الثلاثين من عمره ارتحل عنها واخذ يجول في الصحراء الى الجنوب من الجزائر يعظ الناس ويحثهم على الصلاح والتقوى. ثم سار الى تونس وطرابلس وبرقة ومصر وانتقل من مصر الى مكة فلقي بها السيد محمد بن ادريس الفاسي المشهور بالعلم والصلاح واخذ عنهُ الطريقة الصوفية فبرع فيها واذن لهُ استاذهُ باعطاء العهود وتلقين الذكر فبنى زاوية بجبل ابي قيس قرب مكة واقام فيها زمنًا. ولقي في مكة محمد شريف من امراء ودَّاي وكان قد قدمها حاجًا فتمكنت عرى الصداقة بين الاثنين وصار محمد شريف من اشد انصاره فيما بعد. وسافر من مكة الى نجد ولقي بها علماء الوهابيين فارتاب فيهِ علماء مكة بسبب ذلك وخاصموهُ. فلمَّا رأى ان اعداءهُ قد كثروا في مكة رحل الى برقة سنة ١٢٥٥ واقام في الجبل الاخضر وبنى فيهِ زاوية قرب درنة سمَّاها الزاوية البيضاء وهي اول زاوية انشأها في افريقية. وبقي في الجبل الاخضر سبع سنوات مشتغلاً بإقراء الحديث والفقه فطار صيتهُ وهرع الناس اليهِ للاخذ عنهُ ثم سار الى مكة واقام فيها زمنًا وعاد الى الجبل الاخضر بطريق القاهرة. وكان محمد شريف قد صار سلطانًا على ودَّاي والمكاتبة متواصلة بين الاثنين اما الحكومة العثمانية فلم يرُق لها النفوذ الذي وصل اليهِ السنوسي فاحس السنوسي بذلك وانتقل الى واحة جغبوب على ثلاثين ميلاً من واحة سيوه وبقي فيها الى ان توفي في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ ودفن هناك

وخلفهُ ابنهُ الاصغر السيد محمد المهدي السنوسي وكان عمرهُ اربع عشرة سنة فقام بنشر طريقتهِ ومعهُ اخوهُ الاكبر السيد محمد شريف وعمرهُ خمس عشرة سنة وحولهما جماعة من المريدين يتولون امرهما. ونال السيد محمد المهدي شهرة ابيهِ في الصلاح والتقوى فكثر مريدوهُ لا سيما في برقة وطرابلس وودَّاي. وتوفي محمد شريف سلطان ودَّاي سنة ١٨٥٨

نخلفهُ السلطان علي ثم السلطان يوسف وكان الثلاثة من اشد انصار السنوسية

وقويت السنوسية كثيراً في ايام السيد محمد المهدي فكانت زواياها منتشرة من المغرب الاقصى الى الهند ومن وداي الى الاستانة لكنها لم تتمكن من مزاحمة الطرق الاخرى في الهند والممالك العثمانية . وهذه الزوايا كثيرة جداً في الصحراء الكبرى وشمال افريقية وفي كل زاوية خليفة يدير شؤونها ويبايع الناس فيها ويعلم اولادهم القرآن ومبادئ العلوم ويقتني الماشية ويشتغل بالزراعة بمساعدة المريدين فينفق على الزاوية وما فضل يرسلهُ الى شيخهِ السنوسي فصار محمد المهدي كأنهُ ملك يجبي اليهِ الخراج

ولما قام محمد احمد المهدي بدعوتهِ في السودان اوفد اليهِ السنوسي رسولاً بطريق وداي يستعلم منهُ عن دعوتهِ فوصل الرسول بعد استيلاء المهديين على الأبيض ورأى من القتل والسلب ما اشمأزت منهُ نفسهُ وما لا ينطبق على مبادئ السنوسيين فعاد واخبر بما رأى فعزم السنوسي على ان لا يكون لهُ اقل تعلق بمهدي السودان وكتب الى سلاطين وداي وبورنو وغيرها يحذرها من الانتصار لهُ . وكتب اليهِ المهدي كتابين طلب منهُ في احدهما ان يكون احد خلفائهِ الاربعة وفي الآخر ان ينصرهُ على الحكومة المصرية فلم يردَّ عليهِ جواباً

وما زال السنوسي يزداد نفوذاً حتى خاف السلطان عبد الحميد عاقبة الامر وبث عليهِ العيون والارصاد فاحسَّ السنوسي بذلك وارتحل سنة ١٨٩٤ الى واحة الكفرة في الصحراء الكبرى بعيداً عن الحكومة ثم انتقل سنة ١٩٠٠ الى قرو في دار قوراني من اعمال وداي فلقيهُ اهاليها بكل ترحاب وبنى زاوية هناك في مكان حصين على رأس اكمة واقام فيها . وكان الفرنسويون قد تقدموا في البلاد ففتحوا برنو سنة ١٩٠٠ وقتلوا سلطانها رابح الزبير ثم فتحوا باقرمي فحاول السنوسي ان يمنعهم من الاستيلاء على بلاد كانم وهي في الصحراء الى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد وكان لهُ فيها زاوية في مكان حصين فزحف عليها الفرنسويون سنة ١٩٠٢ وفتحوها عنوة فاغتم لذلك كثيراً ومات في ٣٠ مايو من السنة نفسها فوضعت جثتهُ في تابوت صنع لها في قرو ونقلت الى زاوية التاج وهي الآن في خيمة هناك . وخلفهُ ابن اخيهِ واسمهُ احمد شريف ويقيم الان في واحة الكفرة بعيداً عن الفرنسويين

ولا يعرف عدد السنوسيين تماماً لكن اكثر اهالي طرابلس وبرقة والجانب الشرقي من الصحراء الكبرى ووداي سنوسيون ومنهم عدد ليس بقليل في تونس والجزائر وبرنو ودارفور والجانب الغربي من الصحراء . فهم قوة كبيرة لا يستخف بها